تأثّر الشاعر الألماني غوته بحافظ الشيرازي والشعراء الفرس[1]

د. محمد يحيى الهاشمي*

چكيده

تطرق الشاعر الألماني الشهير غوته في كتابه المعروف بالديوان الغربي- الشرقي (West-östlicher Divan) إلى الأدب الشرقي بصورةٍ عامة. وقد عبّر في هذا الديوان عن هجرته العظمى من جحيم الغرب إلى جنة الشرق. ولم تكن الهجرة بالجسم، بل بالروح، بالعكوف على قراءة كتب الرحلات ومطالعته للشعر الشرقي ولا سيّما شعر حافظ الشيرازي. وكأنّ شيخه الفارسي قد تقمّص في ذاته فأصبح غوته حافظًا في مقامه الأثيري في جنات المصلّى[3] ونهر كناباد[4]، غافلًا إلّا عن نفسه كحافظ، مستغرقًا في إحساسه وحسّه، نشوان يترنم بمنظوم الغزل الفارسي العميق الخالد.

وكان تقسيم الديوان المذكور على النمط الفارسي كما يلي:

١- مغني نامه (كتاب المغني)؛ ٢- حافظ نامه (كتاب حافظ)؛ ٣- عشق نامه (كتاب العشق)؛ ٤- تفكير نامه (كتاب التفكير)؛ ٥- رنج نامه (كتاب الألم)؛ ٦- حكمت نامه (كتاب الحكمة)؛ ٧- تيمور نامه (كتاب تيمور) ٨- زليخا نامه (كتاب زليخة)؛ ٩- ساقي نامه (كتاب الساقي)؛ ١٠- مثل نامه (كتاب الأمثال)؛ ١١- پارسى

---

١. نشرت هذه المقالة لأوّل مرّة في مجلّة الدراسات الأدبيّة في ربيع العام ١٩٦٢، السنة الرابعة، العدد الأوّل، ص٣٢-٤٩

* دكتوراه في الفلسفة من ألمانيا في العام ١٩٣٥. كان رئيس جمعية الأبحاث العلمية في حلب ومدرّسًا في كلية الآداب بسوريا.

٣. متنزّهٌ قرب شيراز

٤. نهر في شيراز تغنّى به حافظ.

نامه (كتاب الفرس)؛ ١٢- خلد نامه (كتاب الجنة).

لا نريد أن نبيّن مآل كلّ كتاب من هذه الكتب. بل سنقتصر على ما له علاقة بالأدب الفارسي ولا سيّما حافظ الشيرازي.

وسنبتدئ بكتاب حافظ نامه:

إنّ الكلمة كالعروس
والروح كالعريس
وقد عرف هذا الزفاف
كلّ من قدّر حافظ...!

تفسير اللقب

أو محاورة بين الشاعر الألماني وحافظ

الشاعر: قل يا محمد شمس الدين،
ما بال شعبك السامي
يدعونك حافظًا
حافظ: باحترام أجيب عن سؤالك:
بالذاكرة السعيدة
خزنت عهد القرآن الكريم
وحفظته من دون تبديل
فصانني بطاهرية
من وحشية الأيام السيئة،
كما مستني أيضًا
كلمة النبي وعترته
وحمتني كما يليق بها
من أجل ذلك حظيت بهذا الاسم!!!
الشاعر: يا حافظ، هكذا يظهر لي،

لا أريد أن ابتعد عنك،
و إذا اعتقدنا كما يعتقد غيرنا
فنكون شبيهَي من نعتقد[1]
وهكذا فأنا شبيهك تمامًا
ذلك لأني من كتبنا المقدسة
أخذت الصور الرائعة
كما حدث في نسيج الأنساج
التي انطبعت فيها صورة السيد (المسيح)[2]،
والتي أغتبط بها في صدري المطمئن[3]،
على الرغم من الإنكار والحواجز والانتزاع
بصورة الإيمان المنعشة[4].

شكوى

هل تعلمون، حول من تكمن الشياطين،
في الصحراء بين الصخور والجدران؟
الذين لا يتركون فرصة تذهب منهم
دون غواية البشر إلى جهنم
إنّ مثل هؤلاء هم من الدجالين والأشرار
هل يعلم هو (الشاعر) مع من يذهب ويسيح

١. أي أنّ «شبيه الشيء منجذبٌ إليه» وينطبق هنا ما ينشده السهروردي:
«فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح»
٢. هنا يشير الشاعر إلى انطباع أسارير السيد المسيح في خرقة، إذ مسحت إحدى التقيّات بها وجهه وهو في طريق الجلجلة.
٣. هذا ينطبق مع مضمون الآية القرآنية الكريمة: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي»
٤. هكذا يقول الشاعر الألماني إنّ الكتاب المقدس محبوب لديه، كما بيّن ذلك في كتابه الحقيقة والشعر Dichtung und Wahrheit:
«أكاد أكون مدينًا للكتاب المقدّس وحده في ثقافتي الأخلاقيّة، فجميع المطارحات والتعاليم والرموز والأمثال انطبعت في أعماق ذاتي وكانت مؤثّرة من ناحية معينة أو من أخرى».

الذي يشتغل دومًا بالجنون؟
بالحب الذاتي، بلا حدود...
يسوق دومًا إلى الخراب،
وقافية شكواه مكتوبة على الرمل،
المزاحة فورًا من الريح.
فلا يفهم ماذا يقول
وما يقوله لا ثبات له
ويفتح الناس لأناشيده صدورهم
رغم تضاربها مع القرآن
اعلموا أنتم يا من يعرفون الشرع
أنتم المزوّدين بسموحكم العلماء والتقى
إنّ هذا واجب المسلمين المخلصين الأكيد (المعرفة الحقة)!!
وإنّ ما يغضب حافظًا بصورة خاصة
أن يهيم ميرزا بالفكر في كلّ واد [1]
قولوا (أيّها الشعراء) ماذا يجب عمله أو تركه [2]

فتوى

أن نسمّي حافظًا لسان الشعراء
فذلك بوعي الحقيقة التي لا محيد عنها
ولكن بين هذا وذاك بعض الصغائر
الخارجة عن نطاق القوانين
وإذا أردت المضي فيجب عليك أن تعلم

١. وهذا مصداق الآية الكريمة: «وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُون، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ» [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦].

٢. على الرغم من أنّ حافظًا في حياته الظاهرية لا ينطبق على ما يكتبه في قرارة صدره، فهو دومًا لا يوافق الشعراء الذين يقودون إلى الشكّ وتعطيل القوى الروحيّة أمثال زميله ميرزا (كما جاء ذلك في شرح ديوان الغربي- الشرقي).

التفريق بين السم والترياق
ومع ذلك فإنّ اللذة الصافية للسلوك الكريم
أن تعتمد على الشجاعة المنشطة،
و إذا ما أثمرت عذابًا ممضًا.
أن تتصرف بالبصيرة الحكيمة
مع التأكّد من عدم ضياع أي فرصة:
ممّا كتبه أبوزند المسكين
غفرالله له ذنوبه...

الألماني يفكر

أيّها المقدّس يا أبا زند، هل أصبت
هذه القدسية يتمنّاها الشاعر،
لأنّ مثل هذه الصغائر
الخارجة عن نطاق القانون
هي جزء من التراث المقرون بالطيش
حتى في الغمّ يعرف تحريك الفم بالمسرّة.
وسم الأفعى والترياق
يظهرله الواحد مشابهًا للآخر،
لا يقدر أن يميت من لا يستطيع الإحياء
و إنّ الحياة الحقيقية هي بالسلوك
ويمكن إثبات البراءة الخالدة
بان لا يؤذي المرءُ أحدًا إلّا نفسَه
وهكذا يأمل الشاعرالشيخ
أن تستقبله الحواري في الجنة
كشابٍ يافع

فيا أبا زند المقدس، هل أصبت؟!

فتوى

قرأ المفتي أشعار المصري
جميعها، الواحد تلو الآخر
بتفكير محكم، ورماها إلى الشعلة
وهكذا فالكتاب الجميل أصبح عدمًا
كل تفكير وكتابة على هذا النمط
وهو وحده مستثنى من عذاب النار
لأنّ كلَّ شاعرٍ أُعْطِيَ مِنْحته
فإن أساء استعمالها
فليرَ كيف يتخلص من النار

اللامحدود

إلى حافظ:
أن لا يكون لك ابتداء، فتلك هي عظمتك
وان لا يكون لك انتهاء فذلك حظك،
فإن أغنيتك تدور كقبّة النجوم
فبدايتها نهاية، ونهايتها بداية
وما في الوسط هو في الواقع
ما صار في النهاية وكان في البداية،
أنت منبع سرور الشعراء
وموجة تلو الموجة
من ذلك الفم المعدّ للقبل
ونشيد صدر متدفّق بالمحبة

وقلب طيّب يفيض
ليصبح العالم كلّه متدهورًا
يكفيني يا حافظ أن أكون معك وحدك
أشاطرك المسابقة بالسرور والعذاب
وليكن ذلك مشتركًا بيننا كتوأمَين،
كما تحبّ وكما تشرب،
وليكن ذلك اعتزازي وحياتي
والآن نغم أنشودتك من نار ذاتك،
فأنت أقدم وأنت أحدث...

محاكاة

أمنيتي محاكاة أسلوب قافيتك،
فليعجبني الترجيع مثلما أعجبك.
و إني أحاول إدراك المعنى أوّلًا وبعدها أبحث عن الألفاظ
ولا نغمة تجد صداها في نفسي متكرّرة
إلّا إذا كان لها معنى يشفع
كما تحب أنت، وكنت مفضلًا من الجميع.
و إن البصيص الذي لا شأن له
والشعلات القليلة التي تعسعس في المدينة العظيمة
تولد الريح وتتأجّج برياحها الذاتيّة،
وعندما تنطفئ، تختفي في قاعات النجوم
وهكذا ينشط قلب ألماني من جديد
بالمدد من الجمر الخالد المتوالي منك
الإيقاع المحكم يجذب إليه طبعًا
والينبوع المتوقد يوقظ السرور،

ومع ذلك فينفر الإنسان بالاستنكار
من القناع الفارغ الخالي من الدم والمعنى
حتى إن الروح لا تظهر السرور
إذا لم تفكّر بقالب جديد
ولم يضع الشاعر حدًّا لذلك الشكل الميت

إلى حافظ

أن يدّعي أحدٌ يا حافظ أنّي بدرجتك
فأيّ جنون هذا؟
فوق أمواج البحار تجري سفينة مسرعة
تفتح شراعها وتتحرك باعتزاز ولا مبالاة
تود اختراق المحيط؛ ويسبح فوق الماء هذا الخشب النخر،
إليك بالألحان بخفة وسرعة تمرّ فوق المجرى البارد
وتغلي بأمواج النار وأن جمرها ليبتلعني
وعلى عتبة الظلام تظهر لي وتوحي باللامبالاة
وفي نور الشمس عشت في البلاد وأحببتها[1]

السرُّ المكشوف

سمَّوك يا حافظ المقدّس لسانَ الغيب
وعلماء الألفاظ لم يفهموا قيمة هذه الكلمة
وصوفيون تسمّيهم أنت، إلّا إنهم يفكّرون بجنون بحضرتك
ويديرون كؤوس خمرهم غير الصافية باسمك[2]

١. يقصد الشاعر أنّ المسابقة مع حافظ مشروع خطر، ولكنّ الذكريات ترجع به إلى نور شمس الحبّ الذي عاش به فيما سبق، فهذه الذاكرة تعطيه شجاعةً معنويّة.
٢. إنّ الحبّ الحسّيّ هو رمز الحبّ الإلهيّ والسكر هو رمز الوجد السماوي. وفي هذا الصدد يقول السهروردي في قصيدته الحائية المعروفة: «أبدًا تحنّ إليكم الأرواح»:
قم يا نديم إلى المدام وهاتها في كأسها قد دارت الأقداحُ

أمّا أنت فصوفي طاهر
وبما أنهم لم يفهموك في حصولك على الغبطة دون طقوس
فلا يريدون الإقرار لك بذلك[1]

إشارة

نعم الحق مع أولئك الذين أعاتبهم
فإنّ الكلمة لا رواج لها
إذا لم تفهم من تلقاء ذاتها،
الكلمة كالمروحة بين قضيبين
يشع من بينهما زوج من العيون الجميلة
المروحة هي من القماش المحبوب
إنها طبعًا لتسرّ الوجه إلى الناظر
ولكنّها لا تخفي الفتاة
ولأنّ أجمل ما فيها
العين التي تبرق إلى العين[2]

إلى حافظ أيضًا[3]

إنّ ما أراده الجميع قد فهمته أنت أيضًا
فإنّ الشوق من التراب إلى التاج
يصل الكائنات بصلات محكمة

مِن كَرْمِ إكرامِ بدَنٍ ديانةٍ لا خمرة قد داسها الفلاحُ

١. المقصودُ بذلك الحصول على الطمأنينة النفسيّة من دون القيام بأيّ طقوس أو ترتيلات وهي من الخصائص الصوفيّة التي نهج عليها حافظ واقتدى بها غوته.

٢. إنّ كلمة الشاعر ليست هي المقصودة بذاتها، بل إنّها صورة لامعة للحقيقة المليئة بالحياة، وإلى هذا المدى يكون للمؤوّلين الحقّ بأن يلجوا من الأغاني إلى مشاهدات الشاعر النفسيّة.

٣. الحبّ والخمر وحكم الحياة هي من خصائص أغاني حافظ، والحبّ هو الحاكم في العالم وهو المقدّم لديه، وإنّ قدرته المسيطرة تذكّر دومًا بالأغاني الشرقية في البدء، أي في البدء كان الحب.

كلّ ما يبقى بعد ذلك فإنّه يؤلم
ومن الذي يقدر على المقاومة
وإذا قطع عنق أحد المحبين
فإنّ الآخر يبقى باتصال
عذرًا يا معلم[١] إذا كان قياسي كذلك
انظر إلى تلك السروة الميادة[٢]
فأنسجة جذورها تتسرّب إلى الأعماق
وتشترك مع الأرض
وان تحياتها لتمتزج بالغيوم
وأنفاسها كإشاعات شرقيّة
وكلّ ما فيها يلج في المحبّ المعذّب
سيما إذا التوت خصلة من الشعر بخصلة
وذلك المجتمع الأسمر[٣] ينتفخ مدورًا
وبعده تذروه الرياح
والآن تتفتح الجبهة بوضوح
ويتذلّل القلب
إذا أدركت أغنية بسرور وحقيقة
وذلك لانسجام الروح معها
وعند تحرّك الشفاه بلطف
إنّك تتحرّر في البدء
ومن ثمّ تقع في الفخ[٤]
ويضيق صدرك مرة أخرى

١. المقصود حافظ.
٢. يشبّه الحبيبة بشجرة السرو لامتشاق قدّها.
٣. المقصود بذلك الشعر.
٤. يقصد بذلك أنّ أغنية المحبوبة تحرّر الصدر بادئ ذي بدء ولكنّها تعود فتستعبده ثانيةً بالجذب إليها.

والروح ترغب بالنزوح إلى الروح المعشوقة
والإشاعات تدور حول السعادة
كغيوم غير مرئيّة[1]
وعندما تشتعل نار الحبّ بقوّة قاهرة
يقدّم القدح مرّة ثانية
فتدور الأقداح مرّات ومرّات
العيون تلمع والقلب يسمو
بالأمل من تعاليمك (يا حافظ)
فعندما تسمو الخمر بالروح
يسمع المرء المسموعات العلويّة
فتتفتّح عوالم الفضاء
بالسلامة الباطنيّة والانسجام
الصدر يتفتح والشعلة تتأجّج
فتصبح كمولود جديد
وإذا لم يبق لديك من سرّ
ممّا يحتويه القلب والعالم
فولِّ وجهك شطرَ المفكّر بأمانة وحبّ
وبتلك النظرات ترجع بذاكرتك إلى الماضي السحيق
فلا تنكر ما عندك حتى لدى ذوي الصولة والتيجان،
وامنح الشاه والوزير كلمة طيبة أيضًا،
كلّ ذلك تنشده اليوم، وتنشده في الغد
وهكذا فإن إرشاداتك تنفعنا
عبر الحياة الخشنة واللينة.

١. يشبّه الشاعر أغاني الحبيبة برياح الحديقة الزاهرة العطرة وهكذا يتواتر: «هبّي يا ريح الشمال والجنوب في حديقتي لتتأثر حتى الجذور والأعماق».

وهكذا نجد غوته قد جعل حافظ الشيرازي إمامه في الشعر، ولعلّ هذا الاتصال الروحي عبر الزمان والمكان متأتٍ من التقارب الموجود بين الشاعرين العظيمين: كلاهما لا دعوى له في عراقة النسب والشرف الموروث، بل كانا عصاميّين أوجد كلٌّ منهما شخصيّته بنفسه، وكلاهما أيضًا طالب متعة يجمع فيها بين الحسّ والروح، وكلاهما صاحب أثرةٍ لم يشغل خاطره بأحداث عصره وتقلّباتها على الرغم من أنّ كلّ واحد منهما اتصل بالملوك والأمراء ونال تقديرًا ومكانةً؛ اتصل حافظ بالشاه شجاع، وغوته بأمير وايمار Weimar، واتصل الأول بتيمور، وغوته بناپليون، خلّد غوته تيمور على هامش الاتصال الروحي مع حافظ بقصيدته المعروفة:

تيمور والشتاء[1]

هكذا أحاط بهم الشتاء[2]
مع الغضب الهائل يتجهون
وإنّ أنفاسهم الجليدية ممزوجة بكلّ شيء
يضربون أنفاسهم بكلّ ريح
يعاندون كلّ شيء
القوى القاهرة الهائلة تحاربهم
الزوابع الجليدية تطاردهم
جاء مشاور تيمور إليه بالذات
وصرخ في وجهه مهدّدًا قائلًا:
مهلًا وبهدوء أيّها الطاغية!
ارحل يا تعيس، يا ظالم!!
فإلى متى يجب على هذه القلوب

١. جاء في هامش كتاب الديوان الغربي-الشرقي أنّ تيمور هو أحد الفاتحين في الشرق، وقد فتح إيران والهند ومصر وتوغّل في داخل روسيا، ودام حكمه الدامي من ١٣٦٩ إلى ١٤٠٥.
٢. بحسب التواتر فإنّ هناك تشابهًا بين مصير تيمور ونابليون (كما جاء في هامش الديوان الغربي-الشرقي) في غزو روسيا، ويمكن تشبيه هذا المصير بمصير هتلر أيضًا.

أن تتمزق وتحترق بشعلتك ؟
فما أنت إلّا من تلك الأرواح المطرودة
وأنا من طينة غير طينتك.
أنت شيخ! وأنا أيضًا مثلك
هل يجوز لنا أن نجعل البشر موتى والبلاد خرابًا؟!
أنت المريخ وأنا عطارد،
تلك النجوم الشريرة
التي تبدّد كلّ شيء حولها
تقتل الأرواح، وتبرّد
دور الهواء، وإنّ هوائي
لهو أشدّ برودةً منك
(ومع ذلك لا أرضى بانتقال مصيري لغيري)[1]
أمّا أنت فتعذّب جيشك الوحشي
والمؤمن بك، وتطلب آلاف الشهداء
فليحفظنا الله من بليّة أعظم
وأقسم بالله أني لا أقدّم لك أيّ هدية
اسمع يا إلهي ما أرجوه منك!
أعوذ بك من هذا الموت البارد
لا شيء يحميك أيّها الشيخ
ولا جمرات الفحم من الموقد
ولا أيّ شعلة من شعلات الكانون

على الرغم من أنّ مصير ناپوليون يشبه مصير تيمور لم يذكر الشاعر الألماني ناپوليون إلّا بالإجلال والتقدير، فقد ذكر مقابلته له وكيف أنّ نابوليون كان على معرفة واسعة بالأدب وكيف انتقد آثار غوته الأدبيّة، فقد ذكر له أنّ الشاعر الألماني لجأ إلى

١. أضيفت هذه الجملة لفهم مجرى الأفكار

التصنع في بعض عباراته لا سيما في «آلام ڤرتر»، فاعتذر غوته بأنّ الأديب قد يلجأ إلى هذا التصنّع لإثارة السامع ولا يمكنه أن يفعل ذلك في الأمور العاديّة، وقد أراد غوته أن يتقرّب إلى ناپوليون، فبيّن له أنّه يهتم بالأدب الفرنسي، وقد ترجم قطعة «محمد» لـ«ڤولتير» فأظهر ناپوليون عدم ارتياحه إلى ذلك، فبيّن أن ڤولتير كان غير موفق في كتابته وقال: (كيف يوصف فاتح العالم هذا الوصف الضئيل؟!) (الديوان الغربي-الشرقي، West- östlicher Divan, Berlin 1870, P.77)، ولم يذكر عن غزواته لروسيا غير الموفّقة شيئًا.

أمّا النقد الذي يوجهه إلى تيمور فهو على ما يظهر مستمدّ من روح حافظ الشيرازي نفسه، وإلّا لانتقد ناپوليون كما انتقد تيمور.

أفرد الشاعر الألماني بحثًا خاصًّا باسم (زليخا نامه) أو (كتاب زليخة) ذكر فيه قصّة العشق بين حاتم وزليخا مبيّنًا رقّة الإحساسات والعواطف العميقة النبيلة. وقد ذكر زليخا تيمّنًا بعشيقة النبي يوسف زليخة، وقد استمدّ الشاعر هذه القصيدة (غوته، الشعر والحقيقة، Goethes Werke, Berlin P.889) من حبّه للسيدة المستشارة ڤيلليمار[1] في فرانكفورت، المدينة التي كان يقيم فيها الشاعر والتي لا يزال يوجد فيها متحف باسم (دار غوته)، أمّا ذكر حاتم فتيمّنًا بحاتم الطائي المشهور بكرمه بين العرب، ولكن على الرغم من ذلك فإنّ الشاعر الألماني لا يجد صنوَه وشقيق روحه إلّا في حافظ الشيرازي شاعر الغزل والملقّب بلسان الغيب.

وقد أصدر الشاعر الباكستاني محمد إقبال ديوانًا بعنوان «پيام مشرق» (رسالة الشرق) هو جواب على ديوان غوته الغربي-الشرقي على الرغم من أنّه لم يذكر حافظًا مطلقًا، فقد أعجبته فكرة التحرّر التي استمدّها الشاعر الألماني من الشرق وخاصة من الشاعر حافظ، وإن كان المهم عنده جلال الدين الرومي، وقد رأى إقبال تشابهًا عظيمًا بين الرومي وغوته، كما ذكرتُ في مقالتي عن جلال الدين الرومي من خلال

١. الشعر والحقيقة، مجموع مؤلفات «غوته» Goethes Werke, Berlin P.889. أمّا السيدة المذكورة فهي Frau Geheimrath Willemer وقد تعرف إليها في صيف ١٨١٥.

كتاب "خلاصه مثنوى"، (الدراسات الأدبيّة، بيروت، شتاء ١٩٦١، ص٣٦٦)، على الرغم من أنّ الشاعر الألماني يذكر حافظًا في الدرجة الأولى ويجعله حجر الزاوية في ديوانه كلّه.

وقد حلّ لنا هذا اللغز الدكتور يحيى الخشاب في مقال له عن طاغور (ثقافة الهند، ١٩٦٢، ص١١٥) بيّن فيه أنّ إقبال يسلك من حافظ سلوكًا خاصًا، فقد كان يحبّه ويقرأ له ولكنّه لا يتأثّر به ويحذّر الناس من قراءته، لأنّه يخاف على السذّج من هذه القراءة، إذ فيها على زعمه طيب الورد ولكنّه الورد الذي يحوي فحيح الثعابين، لذا فهو يخشى على القرّاء البسيطين من لدغ هذه الثعابين. وفي هذا الصدد يذكر تأثّر طاغور بأشعار حافظ التي كان يسمعها من أبيه. وما الخمرة الباقية التي يذكرها إقبال (بحسب ترجمة عزام)، إلّا تلك الخمرة الروحية التي يذكرها حافظ:

هلمّ فالراح عندي من دنِّ عالي الجناب
وخمرة القول أصبى من خمرة الأعناب[١]
(إقبال، ١٩٥١، ص ٩١)

وعلى ذكر تيمور يرى إقبال:

عود تيمور مضى لا لحنه هو في لحن سمرقند يبين (م.ن، ص ٨٠)

وما ذكره للخمر الباقية إلّا معارضة للديوان المذكور، وفي الحقيقة فإنّ ما تواتر عن حافظ وكما فهم الشاعر الألماني فالمقصود أيضًا تلك الخمرة الروحيّة الباقية.

ولإقبال أيضًا معارضة لقصيدة الحور لغوته (م.ن، ص٦٢، ٦٣):

لا الخمر يومًا تطيبكولا إلينا أنت ناظر
إنّي عجبت لشاعر بهوى الأحبّة غير شاعر.. الخ

فتجيب:

تخدعن قلب مسافر بالسحر من وخزات قائل
ما أن تحاكى لذة وخزات شوك في المجاهل

إلى أن يقول:

١. المقصود بعالي الجناب «جلال الدين الرومي».

فإذا نظرت إلى جميل رائع حلو الشمائل
خفق الفؤاد إلى الذييعلوه حسنًا في المحافل

وينتهي:

تودي قلوب العاشقين بدارة الخلد المواصل
لا صوت محزون ولا ألم ولا واش يسائل

وفي الحقيقة فإنّ الحور التي قصدها غوته هي نفس الحور التي يقصدها إقبال. وقد اتصل غوته بشعر جلال الدين الرومي، وهو يقول في شعر (على لسانه):

إذا أقمت في الدنيا، فهي تهرب كحلم
لا تستطيع مسك الحرارة والبرودة
وما يزهر لك اليوم سوف يذبل في الغد[1]

وفي هذا يذكر إقبال (إقبال، ١٩٥٢، ص ٨٧):

ما زال طرفك في خلط وفي سنة وعنك ذاتك في الأسرار لم تزل
وما تزل في صلاة لا قيام لها وبالضراعة عز الروح لم تصل
وجوهر الذات أوتارٌ مقطّعةٌ ما زلت عن نقمة الروميِّ في شغل[2]

ويذكر غوته عن الفردوسي (على لسانه):

أيها العالَم؟ ما أشدّ قلة حيائك وشرّك!
إنك تُغذي وتربّي وتُميت في الوقت نفسه
وما كان ذا حظوة من الله
يتغذّى ويتربّى بحيويّة وغنى

١. يجد غوته أنّ المحور الأساسيّ الذي تدور عليه أشعار الرومي هو أنّ الجوهر الإلهي يغوص في كلّ شيء ويغيّره.
٢. ويؤثر عن حافظ في هذا المعنى:
«برگ درختان سبز در نظر هوش يار هر ورق دفتر است معرفت كرد گار»
وترجمتها:
«ورق الشجر الأخضر في نظر أرباب العقول كل صفحة قطعة من دفتر المعرفة الإلهية».

ما هي الثروة؟ الشمس المدفئة،
يتمتع بها الشحاذ، كما تتمتعون[1]
ويلزم أن لا يحزن ذلك الغني
سرور الشحاذ العميق على الرغم من أسماله البالية

في كتاب الفرس (پارس نامه) يعطي الشاعر الألماني غوته تفسيرًا جديدًا لعبادة الشمس والنار، فيصف الملك والتاج الذهبي على رأسه المرصّع بالأحجار الكريمة، ثم ينظر إلى جبل دماوند[2] و شعاع الشمس عليه، فإنّ هذه المشاهدات توصل إلى معرفة الله وعرشه ربّ ينبوع الحياة، فيرغب في السير على ضوء نوره. وفي كرة النار يرى الإعجاز والآية الكبرى، فيخرّ على الأرض صريعًا.

يشير الشاعر الألماني أيضًا إلى أنّه إذا وجّهنا المولود الجديد نحو الشمس وغسلناه بتلك النار المقدّسة، فيشعر الطفل بالنعمة في كلّ صباح، لأنّها هي منبع الحياة للحيوان والنبات، ولا ننسى فضل الأقنية من ماء سندرود (م.ن، ص ١٣٤). وإذا ما سطعت الشمس على الأرض وكان الماء والهواء وهبت تلك الشمسُ الحياةَ للكائنات، وبذلك يتطهّر الكون. والإنسان يأخذ مثل الربّ ويقدح النار من الحجر[3]، وحيث تظهر الشعلة تتحرّك الأعضاء وتظهر قوّة النار في سوائل الحيوان والنبات[4]. وإذا ما غُذِّيت الشعلة بالحطب فتزداد اتقادًا. والمصباح أليس هو من نعمة الشمس، فالفتيل المصنوع من القطن هو من حسنات ذلك الكوكب النير، فالشمس هي ينبوع ذلك القنديل المقدّس، ومن هذا النور ندرك النور السامي، وبذلك نمجّد عرش الله، فكلّ ما نشاهده هو مرآة الله، ومن هذه الشعلة ينمو كلّ شيء في هذا الوجود.

١. يشبه هذا المثل ما يؤثَر عن ذيوجانس لمّا وقف أمامه الإسكندر وطلب إليه أن يسألهُ حاجةً: أن لا تحجب عني شعاعَ الشمس.
٢. جبل قرب طهران يؤدّي دورًا كبيرًا في أساطير إيران.
٣. يعدّ اكتشاف النار من الاكتشافات المهمّة في تاريخ البشرية لا يعادله إلّا اكتشاف الطاقة النوويّة في العصر الحاضر، ومنذ صنع النار بالقدح من الحجر، وتاريخ الحضارة يبتدئ منذ هذا الاكتشاف، من أجل ذلك كان تقديسها. أمّا النار الخالدة الموجودة في إيران فهي النفط المشتعل قرب عبادان.
٤. المقصود دم الحيوان ونسغ النبات.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١- إقبال، محمد، (١٩٥١م)، پيام مشرق [رسالة الشرق]، ترجمة عبدالوهاب عزام، كراتشي.

٢- إقبال، محمد، (١٩٥٢م)، ضرب الكليم، ترجمة عبد الوهاب عزام، القاهرة.

٣- ثقافة الهند (مجلس الهند للروابط الثقافية)، (١٩٦٢م)، دلهي الجديدة، يناير.

٤- الهاشمي، محمد يحيى، (١٩٦١م)، جلال الدين الرومي من خلال كتاب "خلاصه مثنوى"، الدراسات الأدبيّة، بيروت، شتاء.

٥- يوهان فولفغانغ فون غوته، (١٨٨٣م)، الحقيقة والشعر، Dichtung und Wahrheit.

٦- يوهان فولفغانغ فون غوته، (١٨٧٠ م)، الديوان الغربي- الشرقي، West- östlicher Divan, Berlin .